

الصين المسلمة

جاك فيرويزر

ترجمة: محمد فتحي كلفت

اعتدنا أن نرى الشغلّين الكبيرين للسياسة الخارجية الأمريكية—الصين والعالم الإسلامي—فيما يربطنا نحن بهم، ولكن رمضان هذا ذكرنا بوضوح لا لبس فيه كيف يتفاعلان مع بعضهما البعض.

ورمضان هو الشهر الإسلامي الفضيل شهر الصوم والصلاة، فيه يُراد من المسلمين أن يتوجهوا بالمساعدة إلى أفراد مجتمعيهم الفقراء.

غير أن السلطات الصينية بذلت قصارى جهدها لكي تضيّق على الشعائر الرمضانية عند مجموعات إثنية عديدة من أقلّيتها المسلمة، بالذات الأويغور، وهم مجموعة من أصول تركية يتألف منهم أغلبية سكان مقاطعة زينجيانج شمالي غرب الصين.

فدُنِع الموظفون الحكوميون وأعضاء الحزب الشيوعي من الصيام، أو ارتداء الحجاب أو إطلاق اللحية. وفي بعض المناطق منعت السلطات المطاعم من فتح أبوابها في ساعات متأخرة من الليل.

وعادة ما تفرض الحكومة الصينية قيودا دينية صارمة نسبيا خلال رمضان في مقاطعة زينجيانج حيث توجد مقاومة خفيفة طويلة الأمد من قِبَل المسلمين على مر عقود، لكن القيود أوسع نطاقا على غير العادة هذه السنة.

وقد شهد الشهر الماضي طفرة درامية في العنف عشية الدورة الأولمبية. فقد قُتل ستة عشر ضابط شرطة في موجة تفجيرات انتحارية وعمليات إطلاق نار بمقاطعة زينجيانج.

لقد اعتدنا أن نرى ردود فعل متطرفة عبر العالم الإسلامي على كل ما يشتُمّ منه تهديد لجماعة المسلمين، فلم إذن الصمت النسبي على الاضطهاد الصيني؟

من الصحيح أنه لا يمكننا القول إن مقاطعة زينجيانج هي حديث المسلمين في مراكز العالم الإسلامي—فهي منطقة نائية، والسلطات الصينية حريصة على إبقائها مهمشة. لكنّ صمت المسلمين يعكس أيضا كيف ينظر الكثيرون في العالم الإسلامي حاليا إلى الصين، وهنا توجد أوجه مقارنة بارزة للوضوح مع الولايات المتحدة.

لا تصاحب ذكر الصين نفس الدرجة من الارتباطات الشرطية الأيديولوجية، مثل نشر الديمقراطية أو محاربة الإرهاب. وبينما قد تكون الصين تقمع المسلمين في زينجيانج، فإن المكتب السياسي للحزب الشيوعي لا يطالب بأن يغير العالم المسلم هويته الأيديولوجية أو حكمه أو معاملته للنساء بما يلائم مصالح البلد.

تبحث الصين عن رزقها من الطاقة في تلك الأماكن الميتة من العالم الإسلامي من قبيل اليمن والسودان وتشاد. سافرت جوا إلى اليمن في العام الماضي وكانت الطائرة مليئة برجال الأعمال الصينيين الباحثين عن اتفاقات نقطية في طرف شبه الجزيرة العربية. حفنة الأمريكيين الذين كانوا على متن الطائرة تم سحبهم بسرعة بعيدا عن المطار ترافقهم قوة مسلحة—أما الصينيون فقد استقلوا حافلات محلية وسيارات أجرة إلى المدينة.

وبينما ينشط رجال الأعمال الصينيون في مثل هذه البلاد البعيدة عن أعين التيار السائد في الإعلام العربي في الخليج والشام، فليس من الأرجح أن تتغير مواقف المسلمين حيال الصين. ولكنهم ما أن يستديرون، حتماً، إلى المراكز الغنية بالنفط كالعراق والسعودية، فمن الجائز أن يتعوّض الصينيون لنفس الارتباب إزاء التدخل الأجنبي الذي يُتهم به الأمريكان. وعندئذ فعل تجاوزات كالتى وقعت في زنجياج عبر الشهر الماضي تحشد كل التدقيق الذي تستحقه.